

هل هناك من يسمع؟

بقلم الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

فيما تحاول كافة الدول الصغيرة في العالم الاحتماء بظل الشرعية الدولية الممثلة بالأمم المتحدة لتأمين سلامة شعوبها وكف شر المعتدين والطامعين عن حدودها وثرواتها، نرى الحكم اللبناني المنصب من قبل نظيره السوري يعادي الأمم المتحدة ويتحدى قرارات مجلس الأمن الدولي وينقض كافة الاتفاقات الدولية التي كان لها الفضل الأكبر في حماية استقلال وسيادة وحدود لبنان منذ أن نال استقلاله عن فرنسا في الأربعينات. وفيما متولو حكم بيروت وفي مقدمهم فخامة العماد يتبجحون ويجاهرون بعصيانهم على الأمم المتحدة وقراراتها، نرى أن الحكم السوري بشخص الرئيس الأسد ووزير خارجيته وكافة الرسميين فيه لا يترك فرصة إلا ويعلن من خلالها عن التزامه بكافة القرارات الدولية وبمرجعية مدريد (الأرض مقابل السلام) مؤكداً باستمرار أن السلام هو خياره الاستراتيجي. في هذا السياق بقيت جبهة الجولان هادئة منذ احتلالها سنة ١٩٦٧ ولم تنطلق منها عملية عسكرية واحدة ضد المحتل الإسرائيلي، وكل من حاول تعكير جو الهدوء هذا اتهم بالعمالة والخيانة وانتهى المطاف به إما في السجن وإما في دنيا الآخرة.

أمضى حكام بيروت سنين وهم يطالبون بتنفيذ القرار الدولي ٤٢٥ وعندما نفذت إسرائيل القرار هذا وانسحبت من الجنوب من طرف واحد جن جنونهم واتهموا الإسرائيليين بالتآمر على الشقيقة، وقالوا للشعب عير وسائل الإعلام المسيرة إن الانسحاب تم لفصل المسارين (السوري واللبناني) وللإيقاع بين سوريا وحزب الله. وبتوجيهات مباشرة من دمشق أبقوا الجنوب ساحة لحروب الآخرين وأوكلوا أمره لحزب الله الذي أقام فيه دولته التي لا ينقصها سوى الإعلان عنها رسمياً. كما جعلوا من مزارع شبعا قضية، كمسار جحا، فتحصنوا خلفها مصرين على الاستمرار بالعمل العسكري ضد إسرائيل ظاهرياً لتحرير هذه المزارع، وعملياً وواقعياً لتبرير بقاء الجيش السوري في لبنان إلى ما لا نهاية. علماً أن مزارع شبعا كانت تحتلها سوريا قبل سنة ١٩٦٧ وإسرائيل احتلتها يوم احتلت مرتفعات الجولان سنة ١٩٦٧ وأصبحت من حينها كالجولان مغطاة دولياً بالقرار ٢٤٢.

لقد اعترف حكم بيروت بالخط الأزرق الذي رسمته الأمم المتحدة بين لبنان وإسرائيل عقب الانسحاب الإسرائيلي من الجنوب السنة الماضية وكذلك فعلت دمشق. الاعتراف اللبناني جاء من خلال رسالة رئاسية إلى الأمين العام للأمم المتحدة بعثها له فخامة العماد مع بعض التحفظات. الرسالة هذه بقيت طي الكتمان ولم يكشف أمرها إلا بعد الإعلان عنها من قبل

السكرير الأميريكي في لبنان الشهر الماضي، ومن ثم تبين وكما جاء في بيان للحزب التقدمي الاشتراكي صدر الأسبوع الماضي أن الرسالة هذه أرسلت دون علم رئيس الوزراء ووزير الخارجية في حينه، الدكتور الحص كما أنها لم تُعرض على مجلس الوزراء ولا على مجلس النواب.

فخامة العماد نفى وجود الرسالة في محاولة غير موفقة منه لذر الرماد في العيون، أما الرسالة فموتقة لدى الأمم المتحدة وبإمكان المراجع الدبلوماسية الحصول على نسخة عنها وقتما تشاء. لم يكتف فخامته بهذا الاستهتار بذكاء اللبنانيين وبوضع لبنان مع الأمم المتحدة في وضع حرج للغاية، بل سعد في موافقه المعادية للشرعة الدولية وأعلن من فرنسا أن الخط الأزرق هو خط تماس بين متحاربين وبالتالي لم يسحب اعتراف لبنان بالحكم بالقرار الدولي ٤٢٥ فقط، وإنما نقض أيضاً اتفاق الهدنة الموقع بين لبنان والدولة العبرية في الأربعينات والذي طالما كان حجة لبنان القوية في المحافظة على حدوده. من جانب آخر أعلن حزب الله على لسان أمينه العام عدم تقيده بالقرارات الدولية ٤٢٥ ، ٢٤٢ و ٣٣٨ طالما بقيت مزارع شبعا محتلة مؤكداً أن الكفاح المسلح لن يتوقف حتى بعد انسحاب إسرائيل من المزارع.

إن موقفا فخامة العماد والأمين العام لحزب الله قد وضعاً لبنان خارج مظلة الأمم المتحدة وفي مواجهة مباشرة مع الشرعة الدولية، مما يعني وبكل بساطة أنهما أعطيا إسرائيل الحجة، بل الحجج الكافية للقيام بأي عمليات عسكرية تراها مناسبة ضد لبنان وفي أي وقت تشاء. إن حكم بيروت ممثلاً بفخامة العماد يريد الشيء وعكسه، فهو أقام الدنيا ولم يقدها بعد احتجاجاً على قرار الأمم المتحدة تخفيض عدد قواتها العاملة في الجنوب على مراحل (من ٤٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ عنصر)، فيما هو يتحدى كافة قرارات هذه المؤسسة الدولية ويضع البلاد والعباد تحت رحمة ومزاجية السلطات الإسرائيلية.

السؤال هو: على من يتكل فخامة العماد ومعه الذين يريدون تحرير القدس انطلاقاً من مزارع شبعا، فيما كافة حكام الدول العربية بمن فيهم الحكم السوري اعترفوا بالكيان الإسرائيلي واختاروا طريق السلام من خلال مدريد وكامب دايفد واسلوا؟

من حق الشعب اللبناني أن يعرف الحقيقة لأن مصيره ومصير كيانه هما في المواجهة، فيما الجميع مسترخٍ يُحارب باللبنانيين مكتفياً بدور المتفرج والمنظر بمن فيهم الشقيقة وجيشها ومعهم كافة الدول العربية؟ ألم نتعلم من المآسي التي سببها لنا الذين أرادوا تحرير القدس من جونه؟ لقد حان الوقت ليعود لبنان لأهله ويتوقف الآخرون عن استعماله ساحة لحروبهم، لقد دفع الشعب اللبناني من دمه ورزقه وأمنه ما لم يدفعه إي شعب آخر في منطقة الشرق الأوسط، فهل هناك من يسمع؟